طيسفون وقد اقاموا فيه طالما كانوا سادة تلك الاصقاع وقد ضارعوا في ذلك ملوك الفرس الذين كانوا يتزلون شطرًا من السنة « السُّوس » و« بابل » ويقضون الشطر الآخر في « همذان ». اما الطاق الباقي بصحته تقريباً الى هذا اليوم فالارجح انهُ كان ايوان هذا القصر وقد اوجبت حمارةُ القيظ وضعهُ على ما هو. ولا يمكن ان يختلج في صدرك ان تُخن جدرانهِ واستقبالهُ للشرق لم يكونا من الدواعي الى كَسْر الحرّ فيهِ. وكان ذلك العقد يقوم مقام سرداب او بهو معقود وغائر بعض الغور في الارض كما يفعلهُ اليوم البغداديون في فصل الصيف. فكان من الواجب ان يكون لقصر الملوك سرداب ينطبق كل الانطباق على ما كان يُرى في اصحابهِ الملوك من الزهو والترَف. وعليهِ فكان من باب التحتُّم والافادة ان تكون ارفه ردهة القصر واوسعها ذاك الايوان. والارض التي يُظنّ ان طيسفون بُنيت عليها تمتدُّ الى نحو من ميلَين» (التتمّة للقادم)

القس عبد المسيح لبيان الحلبيّ

لحضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي الماروني

عرَف المشرق قرَّاءهُ الكرام بطائفة من ادباء الوطن وفضلائهِ فخلَّد بذلك ذكر رجالٍ عظامٍ خدموا في حياتهم الآداب والمعارف فنالوا لدى الخاصّة الحظوى والاعتبار السامي. وما ابتغاهُ « بانيهُ الله مناهُ » الّا احياء مآثرهم ومفاخرهم قبل اندراسها وحثّ الاعقاب على ان يجروا على آثار اولئك الجدود الافاضل فحبَّذا العمل وحبَّذا الغاية المرومة

وكان المشرق الاغرّ لا يفتر اذ ذاك عن استنهاض الهمّة لتحرّي البحث عن امثال اولئك الادباء الذين شادوا لهم في زمانهم صرحاً رفيعاً من العلوم او اصابوا بسموّ مداركهم مقاماً رفيعاً بين العموم. فنشَّط ذلك فاتر العزيمة الى مواصلة التنقير عن آثار افاضل الوطن العزيز فوُفّقت للوقوف على نتفٍ من اخبار هذا القس عبد المسيح

العلّامة المشهور في كتاب معنون « بتاريخ كنائسي » (١ فتحرّيت جمعها ونشرها تعريفاً بفضلهِ واعترافاً بخدمتهِ آداب اللغة السريانيّة وكتب الطقسيّات المارونيّة التي نسبها البعض الى غيرهِ دون بحث ولا تروّ وهذا اوّل ما دعاني الى نشر هذه الترجمة فاقول وعلى الله الاتكال في كل الاحوال

١

ولد عبد المسيح بن بطرس لبيان في حلب الشهباء في مطلع الربع الاخير من القرن السابع عشر من اسرة فاضلة برخت بشراي (٢ احدى قرى لبنان وتوطنت المدينة المذكورة مع من توطنها من النازحين اللبنانيّين في مطاوي القرن السادس عشر. واما الآن فقد انقرضت هذه عائلة لبيان ولم يبقَ منها بقيّة فسبحان الحيّ الباقي

ولمّا دخل عبد المسيح في ريعة الشباب آنس من نفسهِ ميلاً الى العلوم والآداب فانتظم في سلك طلبة الكتّاب الماروني الذي كان يوم ذاك مشهوراً فتعلّم فيهِ مبادئ اللغتين العربيّة والسريانيّة. ثم تدافع الى نيل اربهِ من اللغة الاخيرة وابتغى لنفسهِ سلعة سريانيّة وملكة لغويّة فنال وبرع في فنون السريان وبزّ اهل زمانهِ طرّاً في آدابهم

ثم اتصل بكوكب الشرق (٣ الخوري بطرس التولاوي البتروني العلّامة الشهير فدوس عليهِ الفلسفة واللاهوت النظري والادبي فنال بالتحصيل لانهُ رحمهُ الله كان بارع الفهم سريع تناول المعاني جيّد الحفظ جليداً على الدرس والمطالعة. وقد شهد لهُ بهذا كثير من معاصريه

وبقدر تقدمهِ في السنّ كان يزداد تقدُّماً في التديُّن والتورُّع والصلاح فكنت تراه يبكّر الى البيعة فيقضي فيها قسماً من نهارهِ مستحرّاً بالصلاة والعبادة او قائماً بجانب الهيكل يخدم الكهنة ويساعدهم في اقامة الطرائق (الرتب) الدينيّة بحشمة وإخبات تقرُّ لهما ابصار الحضور. فانتشر عنهُ من نفحات التقى والفضل والرسوخ في المعارف ما حبّبهُ الى السيد ميخائيل البلوزاوي مطران حلب على الموارنة (٤ فاستقدمهُ

١) اودع هذا الكتاب مؤلفهُ المجهول تاريخاً مسيحيّاً من عام ١٧٠٠ الى عام ١٧٤٢ وليس في يدي منهُ سوى قسم يسير

٢) كذا قال صاحب الترجمة في ذيل بعض مخطوطاتهِ

٣) بهذا لقّبهُ معاصروهُ بالاجماع على ما روى صاحب التاريخ الكنائسي

٤) تولّى اسقفيّة حلب في سنة ١٧٠٦ وتنزّل عنها سنة ١٧٢٥

الى جبل لبنان المبارك وهناك سامهُ كاهناً في العشر الثاني من الدهر الثامن عشر فظهر القس عبد المسيح كاهناً جليلاً غيوراً خدم الرعيَّة والآداب خدمةً نصوحاً فنال صيتاً صيتاً واحدوثةً طيبة يردّدها العارفون الى هذه الأيام

وما عاد القس عبد المسيح الى الشهباء حتى اقبل على حراثة كرم الرب والسعي في مهامّ الكهنوت بغيرة لا تعرف ما الكلال ونهضةٍ لا تدري ما الملل. فعرف لهُ الاسقف والشعب هذه المزيَّة فاقاموهُ وكيلاً على دخل كنيسة القديس الياس المارونيَّة فقام باعباء الوظيفة احسن قيام وانمى ريعها وضبط حساباتها بكل اجتهاد وامانة شأنهُ في كل عملٍ وامرٍ الى ان تنزَّل عنها للقس رزق الله الدويهي (؟) في ١٩ تموز احد شهور عام ١٧٢٥ على ما قال صاحب التاريخ الكتائبي المذكور آنفاً

ثم تولَّى ايضاً مهنة تدريس اللغة السريانيَّة مدَّة معتبرة في الكتَّاب المارونيِّ السابق الذكر فاحسن فيهِ التعليم والتوقيف واجاد في الالقاء والتثقيف فحاز بعض تلاميذهِ قصب السبق بهذه اللغة واشتهروا في زمانهم بمعرفة آدابها

وفي ٢ ايَّار من عام ١٧٢٤ قدم الشهباء القاصد الرسولي السيد جبرائيل حوَّاء ترويحاً للنفس ومساعدةً لاخوانهِ واقاربهِ فسوَّلت لهُ النفس ان يتعاطى بعض الشؤون العلائقيَّة التي ليس من شأنهِ تعاطيها بل من شأن الاسقف المكاني فهبَّ لمعارضتهِ ومعاكستهِ جرجس ابو موسان (١ احد المتلقين المفسدين وتمكن من ان يحمل المطران المذكور على ان يزايل الشهباء مهاناً فبرحها في ٦ اذار سنة ١٧٢٥ وفي قلبهِ حزازات. فاغتنم هذه الفرصة حساد القس عبد المسيح وشرعوا يقلقون مدَّعين عليهِ بانهُ كان ممَّن شايع وبايع على ذلك العمل الشنيع. والحق يُقال انَّهُ رحمهُ الله لم يكُ لهُ فيهِ ضلع او تشيُّع اصلاً. ولكن اعداءهُ الاغرار ما انفكوا يقلقون حتى تمكَّنوا من ابعادهِ الى جبل لبنان فانتهى اليهِ في ١٦ من تموز احد شهوز سنة ١٧٢٥ ففحص دعواهُ البطريرك يعقوب عوَّاد بكل تدقيق فرآهُ «مسكيناً ولهُ تعب في الرعيَّة» (٢ فبرَّأ ساحتهُ من

---

١) «في سنة ١٧٢٥ ورد امر من الدولة العليَّة في ضبط رزق جرجس موسان وهذا كان ضربة من الله لانهُ هو الذي سعى بطرد ابن الحوَّاء من حلب». انتهى عن تاريخ مخطوط للرهبانية اللبنانية يُرجح انهُ من تأليف القس ارسانيوس حكيم الذي تسقف على الشهباء سنة ١٧٦٢

٢) عن التاريخ الكتائبي بالحرف الواحد

تلك التهنة الشنعاء وامرهُ بالعود الى وطنهِ مكرَّمًا مبجَّلًا فكبت كل حسَّادهِ كبتًا مبينًا

وقبل ان يعود الى الشهباء قابل اسقفهُ الجديد العلَّامة الخالد الذكر السيد جرمانوس فرحات الشهير فرحَّب بهِ وطيَّب خاطره واصحبهُ بكتاب منهُ الى رئيس الكهنة القس جبرائيل حوشب ووكلاء الكنيسة يأمرهم بهِ "ان لا يعارضوهُ في شيء لانهُ فقير ومديون وان يردّوا لهُ الكالو (١ الذي انقطع عنهُ بمدَّة غيابهِ (٢ ثم قفل بعدئذٍ الى حلب فوصل اليها في ٧ ايلول من السنة المار ذكرها فرحًا مسرورًا

٢

ان قلَّة ذات يد القس عبد المسيح حملتهُ على ان يتعاطى منذ شبابهِ مهنة النسخ التي كانت معتبرة في ذلك العهد وثابر على تعاطيها الى آخر حياتهِ. فترك بعدهُ كثيرًا من الكتب التي خطَّتها يمينهُ الطاهرة في اوقات متباينة وقد رأيت لهُ منها نحو مئة كتاب ولم تنحصر مخطوطاتهُ في الشهباء فقط بل انتشر قسم منها في انحاء لبنان وبيروت. وقد طُبع عنها قدَّاس رسم الكأس وكتاب منارة الاقداس وغيرهما فشهد الطابعون في خطِّهِ بانهُ من احسن الخطوط السريانيَّة ولا بدع فخطهُ جامع بين الحسن والرونق والتناسب والتفنُّن كما روى كلُّ من طالع مخطوطاتهِ

ولمَّا قدم الشهباء المثلَّث الرحمات السيد جرمانوس فرحات السابق الذكر قدَّر المترجَم بهِ حقَّ قدرهِ وقرَّبهُ اليهِ ورفع شأنهُ وجعلهُ من اعضاء مجلسهِ العلميّ (٣ ونشَّطهُ الى التأليف ونسَّخهُ مؤلفاتهِ والكتب الطقسيَّة وكان يواصلهُ عن اتعابهِ بالصلات المتتابعة فتحسَّنت معها حالهُ بعد الفاقة والاملاق

فكان القس عبد المسيح في تلك الاثناء يقصِّد القصائد ويزاول مهنة النسخ ويثابر على التعليم والتثقيف ويلازم التحبير والتأليف في اللغة السريانيَّة فألَّف ثلاث عشرة صلوة طقسيَّة امتازت بحسن السبك وجودة المعنى والتفنن في الاساليب الشعريَّة

---

١) الكالو او الكارور كلمة ارمنيَّة حرَّفها العامَّة واراد بها دخل الكهنة او مرتَّبهم

٢) عن التاريخ المذكور بحرفهِ

٣) سترى شرح ذلك في ترجمة السيد السابق الذكر

فعدّها غير واحدٍ من العلماء من الطبقة الاولى في الصلوات الطقسيّة المارونيّة

وهاك اسماء ما خلّفهُ من الآثار العلميّة: ١ً صلوة احد الورديّة (مساء وستار وصبح وساعة ثالثة) قال انهُ انتهى من تأليفها في غرّة تشرين الاوّل من سنة ١٧٢٦ للمسيح = ٢ً صلوة عيد جميع القديسين (مساء وستار وصبح) قال انهُ انجز تأليفهُ في اواخر تشرين الاوّل من السنة المذكورة = ٣ً صلوة عيد القديس جاورجيوس (١ (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتمّ تصنيفها في ٢٠ نيسان من السنة المار ذكرها = ٤ً كتاب الحسّايات التي تُتلى في ستّار (٢ اسابيع الصوم والعجائب والشعانين والحواريين (٣ قال انهُ انجز تعريبها من السريانيّة في اواخر حزيران من السنة عينها = ٥ً صلوة الاحد الاوّل بعد العنصرة (مساء وستار وصبح) قال انهُ انهى نظمها في اواخر نيسان من عام ١٧٢٧ = ٦ً صلوة الثالوث الاقدس (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتى على تأليفها في اواخر ايّار احد شهور العام الآنف الذكر = ٧ً كتاب الصلوات (العطورة) النير المنظومة في الشحيم (٤ اتمّ ترجمتها من السريانيّة بامر المطران جرمانوس فرحات الشهير (٥ في ٨ آب سنة ١٧٢٨ = ٨ً صلوة الاحد الجديد وعيد مار توما الرسول (مساء وستار وصبح) قال انهُ انتهى من تصنيفها في اوائل تشرين الاوّل من عام ١٧٢٩ = ٩ً كتاب حسايات الشحيم (٦ انجز تعريبها عن السريانيّة (٧ في ١٩ نيسان من سنة ١٧٣٠ = ١٠ً صلوة عيد الحبل بلا دنس (مساء وستار وصبح) قال: كان النجاز من تأليفها في ١٣ آب من عام ١٧٣١ = ١١ً صلوة شرف مريم العذراء (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتمّ تصنيفها في اواخر نيسان سنة ١٧٣٣ = ١٢ً

---

١) هي غير صلوة مار جيورجيوس المثبتة في كتاب التقيط الصيفي

٢) اما حسايات المساء والصبح فمن ترجمة العلّامة الطيّب الذكر المطران جرمانس فرحات

٣) اطلعتُ على هذا الكتاب بخط مترجمهِ وهو من تعريب المطران المذكور

٤) طالعتُ هذا الكتاب بخط مترجمهِ القس عبد المسيح فلم ارَ ذكرًا للخوري انطونيوس شهران القسطاوي كما يُرى في بعض النسخ المخطوطة بلبنان فاقتضى التنبيه

٥) هذا الكتاب من تعريب المطران المذكور

٦) الكتاب مصحّح بقلم المطران الآنف الذكر

٧) اطلعتُ على هذا الكتاب بخط مترجمهِ في مكتبة جناب الشهم الماجد رزق الله بن شكري ايوب الماروني

صلوة عيد مار مارون الناسك (١ (مساء وستار وصبح) قال انهُ انتهى من نظمها في ١٨ تموز من سنة ١٧٣٣ = ١٣ صلوة عيد القربان الاقدس (٢ (مساء وستار وليل وصبح وساعة ثالثة) قال انهُ انجز تأليفها في اواخر ايار من عام ١٧٣٩ = ١٤ كتاب السواغيت (٣ اتمّ تعريبها عن السريانيّة في اواخر تموز من سنة ١٧٣٥ = ١٥ صلوة الستار لمترفع ما (٤ الفهـا في اوائل حزيران من عام ١٧٣٩ = ١٦ صلوة رسول ما (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتى على تصنيفها في اوائل ايار سنة ١٧٤٠ = ١٧ صلوة عيد مار الياس النبي (مساء وستار وليل وصبح وساعة ثالثة) قال انهُ انجز تأليفها في اوائل تموز من عام ١٧٤٠ = ١٨ صلوات سبّة استعداد الميلاد (٥ نسخها الشدياق فرنسيس بن الياس فتح الله الماروني سنة ١٧٦٠ = ١٩ صلوة مار ميخائيل وجبرائيل اصلح عبارتها واضاف اليها بعض صلوات من صلوة شرف العذراء واتمّ ذلك سنة ١٧٣٠ = ٢٠ صلوة الاحد الاوّل من الصوم اصلح عبارتها ايضاً والحان الستار من نظمه كما يظهر بالمقابلة

هذا ما رأيت لصاحب الترجمة من التآليف الغرّاء وقد طالعتها كلها مخطوطة بيمينه الطاهرة ما خلا صلوات اسبوع استعداد الميلاد كما علمت سابقاً والذي يظهر لي ان الاجل لم يفسح لهُ مجالاً لتبييضها او نسخها. ولا بُدَّ لك من ان تعلم انهُ رحمهُ الله لم يراع فيما ألّفهُ من الصلوات الّا فخامة الكلمات وتوافق الجناسات وانسجام السجعات وما اشبه ذلك من المحسّنات اللفظيّة التي وسموها بالفنون البديعيّة فجاءت عبارتهُ لا تخلو من المعاني الجليلة غير فاقدة الاساليب الرفيعة

ولا بدع فانهُ كان ابرع اهل السريانيّة في عصرهِ وادقّهم علماً بمواضع الالفاظ وارجحهم فهماً برونق التأليف. فاذا نظرت الى كلامهِ كلمةً كلمةً حسبتها جواهر يشبُ

١) عزا البعض هذه الصلوة للبطريرك العلامة يوسف اسطفان المتوفّى سنة ١٧٩٣

٢) هي غير الصلوة التي الفها المطران جرمانس فرحات المذكور مراراً

٣) هذا الكتاب يحوي ترجمة نحو ١٠٠ سوغيت من سواغيت الاعياد الاحتفالية لكنّ ترجمتهُ ركيكة لان صاحب الترجمة لم يكن ماهراً في اللغة العربيّة

٤) امّا صلوة المساء والصبح فمن نظم القس الفاضل عطا الله زنده الحلبي

٥) وهم البعض ان هذه الصلوات للمطران الفاضل يوسف اسطفان المتوفّى سنة ١٨٢٣

بعضها بعضاً. كيف لا وهو البليغ الذي لم تكسر النهاهة معنًى خليج في صدرهِ والفصيح الذي لم تحجب اللكنة خاطرًا دارَ في خلدهِ. فأيما خاطر خطر لهُ وأيما معنى تصوّرهُ ابرزهُ كاسياً بحلّة البيان والجناس والبديع وتلك غاية قلّ من انتهى اليها احد من معاصريهِ

ثم طعن هذا الاب الفاضل في أيامهِ فعانى مشاقّ الشيخوخة مع اتعاب التأليف والنسخ بمزيد الصبر وملازمة التجلّد. وما زال يعدّ نفسهُ للقاء ربّهِ الى ان فاضت اليهِ تعالى في ٣١ من اذار احد شهود عام ١٧٤٢ للمسيح فعظم المصاب فيهِ على آداب اللغة السريانيّة التي اعاد اليها الفخر والمجد وافل بافولهِ كوكبها المنير ومن عجبٍ ان يأفل الكوكب في اللحد

فلئن بكتهُ أسًى يحقّ لها او لا فقي سعةٍ من العذرِ
فلمثلهِ جرت العيون دماً ولمثلهِ جمدتْ فلا تجري

وكان على ما افاد معاصروهُ قويّ البنيّة ربعة القوام سهل الاخلاق رحب الصدر ثاقب الرأي يقظ الفؤاد مكرّم الجانب متوقد الذهن حسن البيان فصيح اللسان بليغ الكلام كثير الحفوظ حازماً مقداماً عالماً عاملاً شاعراً مفلقاً نبيهاً. رحمهُ الله عداد حسناتهِ وافرغ عليهِ شآبيب عفوهِ ومرضاتهِ

تباين الحظوظ بين الناس

لحضرة المنشيور يوسف افندي الاسقفي[1]

خطاب تلاه في غرفة القراءة الادبيّة القديس مارون في ٣١ تموز سنة ١٩٠٣

انّنا في كلامنا السابق « في الالفة البشريّة » (١ في هذه الغرفة البهيّة وعدنا بالجواب على اعتراضين أوردهما المخالفون حرصاً على الالفة: (اوّلهما) لماذا لم تكن الارضون مقسومة بين الناس قسمةً متساوية حفظاً للالفة بينهم او لماذا لا تُقسم الآن بالتساوي دفعاً للنفار الذي يحصل بينهم من عدم تساويهم في اقتسامها. (ثانيهما) لماذا تباين الناس

١) راجع المشرق (٥ : ٦٥٤)